**جامعة وهران 2**

**كلية العلوم الاجتماعية**

**قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا**

**شعبة: علم الاجتماع**

**وحدة: التغير الاجتماعي**

**أ.د عمار يزلي**

**الدرس 7**

**أشكال متعددة من التغير والتغيير**

**1/ الابتكار: Innovation**

مفهوم اقتصادي اجتماعي، نتج عن تطور الرأسمالية في الغرب، خاصة مع الثورة الصناعية التي نتجت عن الاكتشافات العلمية. فقد كان معناه ضمن الحقل القانوني خلال القرون الوسطى في الغرب " إدخال شيء جديد في نظام قائم"[[1]](#footnote-2)، فيما معناه في اللغة اللاتينية"Innovare" الرجوع للشيء، أو التغيير من الداخل، وإلى غاية القرن 12م، كانت المفردة تدل على كل ما هو "شاب".[[2]](#footnote-3)

بقي معنى الابتكار وإلى غاية القرن الـ 16، يدل على كل ما هو غير مألوف، غير منتظر، غريب. خلال هذه الفترة بالذات بدأت عبارة "innover"تأخذ بعدا آخر يدل على التغيير، الإتيان بالجديد، إنتاج أشياء جديدة.[[3]](#footnote-4)

كلمة "ابتكار" لم تكن دائما في الغرب، ينظر إليها إيجابيا، فكل جديد مخالف للتقاليد قد تربك المصالح القائمة والوضع القائم. هكذا قوبل اكتشاف غاليليو لكروية الأرض من طرف الكنيسة، وقبله "كوبرنيكوس" في إيطاليا وفي باقي الدول الأوربية بما في ذلك بريطانيا التي قابلت اكتشاف الجاذبية الأرضية من طرف نيوتن بخلاف نظام الكنيسة في إيطاليا، لكن الابتكار والتجديد، ليس دائما محل ترحاب كان حتى في بريطانيا، "إذ قام الملك " Edouard VI" سنة 1546م بمنع كل "ابتكار" رغبة منه في الحفاظ على الدولة من الفوضى والانحراف"[[4]](#footnote-5)

استعملت مفردة "ابتكار" فيما بعد ضمن البعد السياسي من طرف ماكيافيلي في "الأمير" سنة 1513م، والتي كانت تدل على التظاهر بالتجديد في نظام الحكم السياسي القائم بغية الإبقاء عليه وهذا خلال فترات الاضطرابات"، ثم من طرف " [Francis Bacon](https://fr.wikipedia.org/wiki/Francis_Bacon_(philosophe))" سنة 1625 م[[5]](#footnote-6).

الابتكار كمصطلح، سوف يتم التغاضي عنه من طرف الاقتصاديين التقليديين، وهذا إلى غاية توظيفه ضمن توظيفه من طرف "[Joseph Schumpeter](https://fr.wikipedia.org/wiki/Joseph_Schumpeter) " ضمن الفكر الاقتصادي المعاصر[[6]](#footnote-7) قبل أن يتحول إلى مفهوم ضمن الحقل الاجتماعي والأنثروبولوجي والاقتصادي وضمن حقول البحوث التاريخية والسياسية وهذا خلال القرن العشرين ضمن ما يسمى بالثورة الصناعية الثالثة التي أحدثها التكنولوجي والتقنيات المبتكرة في مجال الرقمنة والفضاء والاتصالات وخاصة ضمن عالم الانترنت[[7]](#footnote-8).

يعتبر الاقتصادي النمساوي "Joseph A. Schumpeter" من المنظرين الأبرز ممن أعطوا لهذا المفهوم بعده التطوري التغييري لاحقا، بعد الحرب العالمية الثانية، لبنية النظام الرأسمالي في أوروبا وأمريكا وهذا من خلال مؤلفه المبكر:" نظرية التطور الاقتصادي" " Theorie der wirtschaftlichen Entwicklung"[[8]](#footnote-9)، قبل أن يتحول هذا المفهوم إلى أداة علمية لتوصيف كل شكل من أشكال التغيير والتطوير والتثوير في المنتج القديم.[[9]](#footnote-10)

الابتكار، هو وليد الثورة الصناعية في فرنسا وألمانيا وبريطانيا نهاية القرن السابع عشر، بل هو جزء من ترسانة مفاهيم اقتصادية واجتماعية وفكرية وفلسفية ظهرت مع عصر الأنوار ومع بداية انهيار المجتمع الإقطاعي في أوروبا، حيث انتقل المجتمع الأوروبي بعد الثورة الفرنسية من النظام الإقطاعي الزراعي إلى النظام الرأسمالي الصناعي، وهو ما أدى إلى انفجار في القوة الإنتاجية التي كان يعيقها نظام الإقطاع المتحالف مع الكنيسة.

الابتكار هو وليد مفهوم آخر يمثل رحم الابتكار وهو الاكتشاف "Descovery " فالاكتشافات العلمية واكتشاف القارات والأبعاد الفلكية، من شأنه أن أنتج شكلا تنافسيا بين العلماء والملوك نهاية العد الإقطاعي الذين أغدقوا على الأبحاث العلمية والاكتشافات، وهم من ساهموا في اكتشاف الأسس العلمية التي قام عليها الغرب وتقوم عليه حضارة العالم اليوم: الكهرباء، الضوء، قانون الجاذبية، المجهر، الخلايا، الذبذبات والأمواج الصوتية، الراديو، وقبلهما المطبعة التي شكلت قفزة في الاتصال والتواصل ونشر المعرفة وكثير من الاكتشافات العلمية التي نقلت العالم بسرعة من عصر الآلة البخارية ومن اكتشاف مصادر الطاقة الصناعية الأولى المتمثلة في الفحم الحجري إلى عصر الكهرباء ثم عصر التكنولوجيات الحديثة.

**الاختراع**

مفهوم "الابتكار" يبدو مرادا للاختراع " Invention" وقريب منه لكنه يختلف عنه: فهو سبب في الابتكار ونتيجة للاكتشاف. الاختراع يحيل على الاكتشاف، فيما الابتكار يحيل على التجديد والتغيير والتطور في نوع الاختراع وشكله وفعاليته.كما يمكن اعتباره مرتبطا بتغير أشمل، بل ويشكل ظاهرة اقتصادية متعدد الأوجه، متميز ومعقد كما يصفه "" Joseph Schumpeter dès 1912" [[10]](#footnote-11)

ضمن نظرية التغير، يغطي مفهوم الابتكار على مدى المراحل التي مر بها المجتمع الغربي، خمس أنواع وأشكال من الفترات ومراحل التغير المختلفة:

ـ إنتاج شيء جديد.

ـ إدخال طرق ومناهج إنتاجية جديدة أو وسائل نقل جديدة.

ـ تحقيق نظام جديد في نظم الإنتاج والإدارة والتسيير.

ـ فتح آفاق إنتاج وتوزيع جديدة.

ـ تملك مصادر جديدة للمواد الأولية.[[11]](#footnote-12)

الابتكار، باعتباره ظاهرة معقدة وخصوصية، لا يمكن اعتباره دائما تجديدا وتطورا، بل قد يكون الابتكار محطما للقيم بما فيي ذلك انقراض أو زوال أو تضاؤل الأنشطة التقليدية التي تتحول إلى أنشطة قديمة وجب تجاوزها، وهذا كما يراه البعض ومنهم Joseph Schumpeter الذي أشار في هذا الصدد إلى "التدمير الخلاق"[[12]](#footnote-13) وليس غريبا أن يكون هذا التعبير أول إشارة إلى ما يسمى اليوم في الأدبيات السياسة الغربية، وخاصة الأمريكية منها، بالفوضى الخلاقة.

شكل الابتكار مع الاختراع والاكتشاف ركائز ودعائم القوة التنموية في الغرب من الإطاحة بانظم التقلدية في النظام الزراعي القائم مع نظام حرفي حضري في طور النمو لكن يخضع لمضايقات ذهنية سياسية دينية تمنع هذه المراكز الاقتصادية الضيقة في المدن "les bourgues" من نمو برجوازية رأسمالية قادرة على الدفع بعجلة التمنية بسرعة قصوى نحو مجتمع استهلاكي مستقبلا. هذا ما دفع بآدم سميت إلى أن يرفع الشعار المعادي للنظام الإقطاعي المنهار لصالح مجتمع رأسمالي ناشئ في فرنسا قبيل الثورة الفرنسية 1789م، عندما قال "دعه يعمل ، دعه يمر".

فالابتكار كان ولا يزال في الغرب يتمثل في تطبيق الاكتشاف والاختراع على مستوى دائرة الإنتاج الصناعي، بما في ذلك المجال الفلاحي مما جعل مفهوم "مكننة" الزراعة "mecanisation"، مفهوما اقتصاديا رديفا "للتصنيع الفلاحي"، والذي يفيد نقل الابتكار وتطبيقه في كل الميادين الاقتصادية الزراعية الصناعية والتجارية ومختلف حقول الإنتاج التي تحولت مع الرأسمالية إلى "منتوج" بما في ذلك المجال "الخدمي" والثقافي والفني.

هكذا، كان اكتشاف المصباح سنة 1878 م من طرف الأمريكي Thomas Edison مفتاحا للمنتج النيرلندي Anton Philips لتصنيع المصابيح الكهربية فيما بعد.

يمكن التمييز ضمن التطور والنمو الاقتصادي والخدمي في الغرب، بين الابتكارات تلك المتعلقة بالتطبيقات على المنتج والبرامج الإنتاجية، وتلك المرتبطة بحقل الإنتاج عموما، حيث يمكن التمييز بين ثلاثة أصناف من الابتكار ضمن النوع الأول، حيث يتعلق الأمر بإنتاج "منتج" جديد أولي، مثل جهاز التلفزيون الذي ابتكر أول مرة وتم تسويقه لأاول مرة بعد الحرب العالمية الثانية. النوع الثاني من الابتكار يأتي لاحقا ويعتمد على التحديث والتحسين انطلاقا من الاستعمال الأول للمنتج الأولي، ثم يأتي الابتكار الثالث التطويري الذي يحول المنتوج الجديد إلى منتج متكيف مع الواقع الجديد شكلا ومضمونا بما في ذلك شكل الديزاين الذي سيأخذه لتحسين الاستعمال وتسهيله.[[13]](#footnote-14)

التطبيقات الصناعية والابتكارات التي حدثت في هذا المجال ضمن حقل الصناعة الفلاحية في الغرب الإقطاعي ثم تطورها ضمن المجتمع الصناعي الرأسمالي، سمح للزراعة أن تحدث طفرة في مجال الإنتاج والتسويق والاستهلاك. المكننة الزراعية ودخول الآلة في العملية الزراعية من الحرث إلى الدرس والجني والتسويق، سمح للاقتصاد الغربي أن يدخل بسرعة في مرحلة الاكتفاء ثم في فائض الإنتاج، مما دفع الغرب النامي إلى البحث عن أسواق خارجية بعد الإشباع الذي حدث في الاستهلاك الداخلي بفعل دخول الآلة كقوة إنتاج، وتطور وانتشار الابتكارات في كل المجالات مما جعل الغرب يعرف تغيرا و"ثورة" (Revolution) في النظم الإنتاجية ضمن القطاع الزراعي والصناعي والخدمي، تغير لم يسبق له مثيل.

تزامنا وبشكل متوازي مع تطور الابتكارات في المجال الإنتاجي، تم ابتكار وتبني أشكال تنظيمية جديدة في أنظمة العمل داخل المؤسسات الصناعية، مما جعل حجم الإنتاج يتكاثر لتلبية السوق ولتلبية حاجة المجتمع الرأسمالي المبنية على مفهوم "الحاجة" (le besoin)، وخلق هذه "الحاجة" كمطلب استهلاكي ينمي الإنتاج ويشغل عملية العمل لهدف أكبر هو "الربح". وهذا لب فلسفة كارل ماركس ونظريته في التطور والمجتمع الرأسمالي التي لخصها في مؤلفه "رأس المال".

تقسيم العمل ضمن نظرية "Taylor" ضمن حقل الإنتاج الصناعي التسلسلي، وأيضا نظام إدارة وتسيير العمل لدى "Ford" في حقل تركيب السيارات، يدخل أيضا ضمن حقل الابتكار التنظيمي، وهذا ما كان قد أشار إليه مبكرا "[Joseph Alois Schumpeter](https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Joseph_Alois_Schumpeter/143616) (1883-1950)"، في مؤلفه "نظرية التطور الاقتصادي" (1912م) عندما لاحظ "أن الابتكار هو تفعيل وظيفة جديدة في عملية الإنتاج"[[14]](#footnote-15)

الابتكار أصناف وأنواع تتغير دلالاتها وأشكالها بحسب التغير الشمولي وتطور المكتسبات التقنية والعلمية والمعرفية، ساهمت في حقل التطور والحضارة الغربية الحالية والتي استمدت أصولها من الحضارات السابقة: الإغريقية الرومانية والإسلامية. ولأن عملية الابتكار في المجتمع الغربي المعاصر هي ثمرة تراكم معرفي وتاريخي لكل الابتكارات في الحضارات السابقة، فإن الابتكار في الغرب اليوم هو تحصيل حاصل، وهو حوصلة وعملية مستمرة ومتراكمة ومتطورة بشكل دائم.

تعقد المجتمع الرأسمالي الغربي أنتج منظومة قيم ومنتجات معقدة متداخلة تعتمد على الدقة والصغر والاختصار ورفع نسبة الإدماج: إدماج عدة خصائص وظائف في المنتج الواحد، وهذا ما جعل مفهوم الابتكار يأخذ عدة أبعاد وأصناف وأشكال وأنواع، منها: الابتكار المفتوح، وهو الحر والمنفتح على الجميع ممن يمكن أن يتدخل لتطوير المنتج أو تحسينه أو تغييره نحو الأداء الأمثل. هناك الابتكار المشترك، وهو ذلك الابتكار الذي ينتج عن عمل فريق بحث وعمل مكون من اثنين أو أكثر. كما نجد العديد من أنواع الابتكار صنفها البعض في نحو 89 نوع ابتكاري.[[15]](#footnote-16)

1. <https://fr.wikipedia.org/wiki/Innovation> [↑](#footnote-ref-2)
2. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-3)
3. Vincent Bontems, [« De quoi l'innovation fut-elle le nom ? »](https://www.youtube.com/watch?v=HBI4S11BwgM)  USI, op-cite

   (تاريخ التصفح: 18/09/2019) [↑](#footnote-ref-4)
4. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-5)
5. نفسه [↑](#footnote-ref-6)
6. نفسه [↑](#footnote-ref-7)
7. Benoît Godin, [« La révolution collaborative »](https://www.lesechos.fr/11/04/2014/LesEchos/21667-041-ECH_la-revolution-collaborative.htm) , *Les Echos*, 11 avril 2014. [↑](#footnote-ref-8)
8. Revue intervention économique 46/2012 p3 PDF [↑](#footnote-ref-9)
9. [Catherine Verna](https://www.persee.fr/authority/140279), Réduction du fer et innovation : à propos de quelques débats en histoire sociale des techniques ,[Médiévales](https://www.persee.fr/collection/medi)  Année 2000  [39](https://www.persee.fr/issue/medi_0751-2708_2000_num_19_39?sectionId=medi_0751-2708_2000_num_19_39_1495)  pp. 79-95 [↑](#footnote-ref-10)
10. <https://journals.openedition.org/interventionseconomiques/1852> [↑](#footnote-ref-11)
11. <https://www.universalis.fr/encyclopedie/innovation/> [↑](#footnote-ref-12)
12. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-13)
13. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-14)
14. نفس المرجع [↑](#footnote-ref-15)
15. <https://fr.wikipedia.org/wiki/Innovation>

    (سبق ذكره) [↑](#footnote-ref-16)